نـافـذة

المتنبي والحب

ليس غريباً أن يكون أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين أحد السادة الذين يمكن أن نتعلم منهم الحب، والحب في أبهى حالاته وأعظم درجاته، فإذا ما استعرضنا أشعاره الكثيرة، وهو الشاعر الذي ذهب عن دنيانا في قمة الرجولة والعطاء، فإننا لن نجد قصيدة مخلصة للحب موضوعاً، فهو لم يتغزل، ولم يفرد للغزل باباً أو قصيدة، وهذا بحد ذاته علامة على الحب، فالحب عنده حياة وليس موضوعاً، وشاعر بمكانة المتنبي يمكن أن يقول غزلاً يذيب رقة، لكنه لم يفعل، وإذا ما استعرضنا آراء النقاد فسنجد عجباً في تفسير خلو شعره من الغزل، فتارة كان قاسياً عندهم وقرمطياً، وتارة كان محباً لخولة أخت سيف الدولة، ولم يجرؤ على قول شعر غزل فيها، واكتفى بامتداحها بعد وفاتها ليعوّض عن الغزل! وتارة هو شاعر مصلحة ومنفعة، لذلك عمد إلى المدح والحديث عن سيف الدولة وكافور للوصول إلى مآربه! ولعلّ أقرب الآراء هو ذلك الرأي الذي يتحدث عن طموح المتنبي في أن يكون والياً، وشعر الغزل قد يجعل جانبه ليناً، ويحول دون السعي إلى تحقيق طموحه المشروع!

إن طموح المتنبي هو قمة من قمم الحب الإنساني، فقد جعله هذا الطموح ذا همة وحكمة وحب، فهو لم يشأ أن يتحدث عن أم وأب وقبيلة وجدة، بل أراد أن يبدأ الحب من ذاته، وهذا ما يفسر أن المتنبي عندما رثى جدته امتدح نفسه، وأعطاها المكانة الكبرى ليس لأنها جدته، بل لأنها حظيت بالقرابة منه ومن شاعريته، وهو محق بذلك، فمن كان سيأتي على ذكر جدته لو لم تكن جدة لهذا الإنسان العبقري؟!

فمن يذكر أم أرسطو أو سقراط أو أفلاطون أو المعري أو غيرهم من العباقرة الذين شكلوا فواصل من حياة المجتمعات، ومن حياة أسرهم والمقربين منهم؟!

وهذا التخلي الطوعي الواعي، لا لسبب أخلاقي أو طبقي هو الذي جعل المتنبي يعطينا أعلى مثال في الحب، وهو الحب للذات، فهو من يعطي مثالاً صارخاً على أن الحب يبدأ من الذات ولها، ولا يمكن للإنسان أن يكون محباً لأحد إن لم يكن محباً لذاته، ولا يكون محباً لذاته إلا إذا حضّ هذه الذات على أن تكون بذاتها ولذاتها، وأن تترك أمر المباهاة بالجذور والأصول والفروع جانباً؟!

واليوم نجد الأمثلة صارخة على عظمة حب المتنبي، وتقزّم حب الآخرين الذين يدعون الحب..

ولست بقانع من كل فضل بأن أعزى إلى جدّ همام

ليس مهماً أن يكون جدك عظيماً كما يقول المتنبي، إن لم تكن أنت صاحب قيمة ومكانة ويعجب المتنبي من ذلك الذي يعتمد على أصوله وجدوده، بينما هو يقنع بأن ينسب إليهم!

لست بقانع.. لا تقنع روحه الطامحة المحبة، بل المغرورة إيجاباً بأن يكتفي بعظمة جده، بينما هو لا شيء، وعليه أن يكتفي بالنسب!

حينما تكون بهذا المستوى من الحب والغرور، فإنك ستقدم شيئاً مميزاً وخاصاً، فإن كان جدك وأصلك في مكانة مهمة، فإنك ستغني ما جاءك منهم، لتبني لنفسك أولاً وللقادم بعدك ثانياً.

أما إذا قنعت بعظمة جدك وأصلك، فإنك ستمضي عمرك تستهلك هذا المجد الذي قد يكون عظيماً، وقد لا يكون شيئاً، لتصبح بلا ماض ولا حاضر، ومن دون أن تؤسس للمستقبل الذي من المفترض أن يكون غايتك، كما كان غاية جدك- إن كان عظيماً وهماماً-!

إن هذه الرؤية في الحب هي أعلى الدرجات في الإنجاز والحضارة وحب الذات ليكسب الإنسان خلوداً مختلفاً، وهذا ما أعطى المتنبي مرتبة لم يصل إليها غيره من الشعراء والأدباء على مر العصور والتاريخ.

المتنبي يطرح إشكالية خطيرة في الحب، وهي حب الذات ودوره في الإنجاز وبناء الحضارة، وهو بذلك يرد على كل الذين يتحدثون عن الغرور بأنه ظاهرة سلبية ومرضية، وأثبت أنك إن كنت مغروراً تصل إلى مرحلة التأليه المعنوي البشري، وليس يقنعك بعدها أي شيء في الحياة، بل يجعلك إنساناً مختلفاً في سيرتك، لأنك تحترم غرورها وعظمتها وحكايتها، ومن هنا تأتي أهمية الخبر الذي تناقلته الكتب عن صفات المتنبي حيث يقولون: له ثلاث خلال حميدة: ما كذب، وما زنى، وما لاط.. والذي دفعه إلى ذلك هو غروره وحبه لذاته واحترامه لها.. ويقولون: وله ثلاث خلال ذميمة: ما صلى، وما صام، وما قرأ القرآن، وقد تكون الصفتان الأولّيان حقيقة أما الثالثة فحقيقتها بالفهم والتفسير لا بأي شيء آخر، فهو ما قرأ القرآن قراءة تعبد لأنه لا يصلي ولا يصوم، أما عن قراءة القرآن، فالكتب والمنطق يؤكدان أن القرآن يجري على لسان المتنبي، وهذا ما أعطاه هذا التفوق، ولا يمكن لمن لم يقرأ القرآن أن يكون بهذا المستوى والمكانة والبلاغة!

كم نجد اليوم في زماننا من يتحدث عن الحضارة الإسلامية؟ كم نسمع اليوم في زماننا من يتحدث عن الحضارة الإسلامية؟!

كم نسمع من غناء عن التفوق العربي؟! كم نغني، ونحن نعرف أن الجزء الأكبر من الذي نغنيه ونتغنى به ليس حقيقة؟!

لو وعينا المتنبي لكان ديدننا العمل وبذل الجهد للوصول إلى الغايات النبيلة، بينما نحن تغنينا وقنعنا بأن أجدادنا الحضاريين كانوا مختلفين ومتفوقين، فأحرقنا تاريخهم الغني العظيم، ولم نضف إليه شيئاً، وفوق استهلاكه أعطينا صورة رديئة عن تراثنا الذي كان عظيماً في وجه من الوجوه، وليس في كل أوجهه!

من هنا تأتي مشروعية الأسئلة المطروحة والمؤلمة؟

هل كان أجدادنا عظماء؟ هل ينتمي المسيحيون اليوم إلى يسوع؟ هل ينتمي المسلمون اليوم إلى محمد والإسلام؟ هل نتمثل هؤلاء حقيقة؟

وعندما كانت الإجابات سلبية، وصلنا إلى مرحلة خطرة تتجاوز السؤال عن انتمائنا، بل وصلت إلى حد الشك بأولئك، والسبب عدم الحب، والذي أراده المثال الحي لنا، لكننا لم نعمل!

والحب عند المتنبي علاقة تبادلية يجب أن تحظى بالعناية من المتحابين، أما إذا كان أحد الطرفين ناكراً أو جاهداً فالحب جنابة، والقلب المحب يكون خائناً للإنسان الذي يمتلكه، ومع قسوة ما يخلص إليه المتنبي إلا أننا نجده مقنعاً ومنسجماً، والحب الحقيقي ينسرب في ثناياه لنشاركه موقفاً ورأياً:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا أو عدواً مداجيا
حببتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكن أنت وافيا
وأعلم أن البين يشكيك بعده فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا
فإن دموع العين غدر بربها إذا كن إثر الغادرين جواريا

الحب عند المتنبي ليس عاطفة وليس مرضاً، وإنما هو إحساس وعلاقة تبادلية بين طرفين، إن لم تتحقق هذه المعادلة، فهذا لا يعني انتفاء حالة الحب، وإنما يعني ابتعاد المحبوب الذي لا يستحق صفة الحب، وما من شخص أتى بهذه الصفة سوى المتنبي، لأن حالة الحب إن تملكت في الإنسان تجاه من لا يستحق، فإنها ستحوّل جزءاً من الإنسان إلى غادر يفتك بالإنسان، ويصبح القلب غادراً لمن يحمله من أجل من لا يستحق!

ألا يستحق أن يكون المتنبي العارف والقارئ؟

هذه الرؤية التي كانت للمتنبي ولم تكن لسواه جعلت الحياة كلها حباً للذات، وسعياً لعظمتها، وجاء في السياق ذاته:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

وجاء اعتداده بذاته وحبه لها، على الرغم مما حيك حول القصة من حكايات لاستدرار العطف أو الإدانة:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

هذا الغرور الإيجابي الذي يتملك كل واحد منا، ولكننا نأخذه على المتنبي، وذلك لسبب مهم هو أن المتنبي أعطى قوله وعمل من أجله، أما نحن فنملك أضعاف هذا الغرور، ولكننا نحمل عجزاً لا مثيل له عن تحقيق أي شيء!!

إنه الحب والمحب، وبدل أن يباهي بالحضارة، فقد ندب وفي مرحلة مبكرة من حياة الأمة غياب القدرة والفعل لحضارته بسبب عجز أبنائها، ففي شعب بوان رأى العجمة مسيطرة فدفعه حبه للعرب والعربية للقول دون أي مواربة:

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

لأنه أحب ذاته بقي.
ولأنه أحب الإنسان علمه الحب.
ولأنه أحب حضارته أضاف إليها ولم يبكها وحسب.

إسماعيل مروة

رحل النهار مبكراً ولكنه سيعود يوماً ما

ضحى مهنا لـ«الوطن»: طرحت مظاهر الحياة بعباءة اجتماعية واقتصادية وتطرقت قليلاً إلى السياسة

سارة سلامة

قضت حياتها مع الأسرة متنقلة بين عدة محافظات، الأمر الذي ساعدها على تقبل الآخر وبناء صداقات منوعة وتواصل ليس له حدود.

الكاتبة ضحى مهنا ساعدها سفرها مع زوجها الطيار المدني إلى أماكن ودول مختلفة إلى التعرف والإطلاع على ثقافات متعددة، ينظر فيها كل شخص إلى الآخر باحترام ولو انعدمت المحبة إلا أن الاحترام والاعتراف بالآخر كانا شيئاً جوهرياً. وفي المنزل لم يكن هناك وسيلة للتسلية سوى المطالعة، فتعمقت في قراءة أهم الكتّاب الروس واطلعت على الكتّاب العرب وأحبت طه حسين ونجيب محفوظ، ومن سورية كل من هاني الراهب وخيري الذهبي وآخرين.

تشدها دائماً مطالعة الدراسات عن الشعوب وثقافتها، لتبدأ بكتابة القصة القصيرة ومنها بعنوان «لا تخافي» وهي مجموعة قصص.

تلحظ خلالها أن همها الأول حفظ كرامة الإنسان في الحياة وعدم الاستخفاف به أو احتقاره.

وكتبت أيضاً للفتيان وحصلت على جائزة في نادي الشارقة الأدبي كانت الأولى عربياً عن كتاب «حذاء الساعة». كما كتبت قصة طويلة للفتيان بعنوان «هكذا عاش غلغامش» وكانت فكرة الموت هي الفكرة الوحيدة التي لم تستطع أن تحكيها للأطفال. وبرأي مهنا فإن العمل الصالح هو من يخلد الإنسان وليس عدد السنوات التي يعيشها إلى جانب الصداقة التي ركزت عليها، وكأنها هدمت الأسطورة وأعادت بناءها من جديد بشكل يتناسب مع الأطفال والفتيان.

أما آخر ما صدرته فهو كتاب بعنوان «رحل النهار مبكراً» والذي دفعنا للقائها والحديث أكثر عن الرواية والاطلاع على المراحل الجديدة التي تحضر فيها الجزء الثاني منها.

همسات من الرواية

«صغيرة هي كانت حين أقفلت السماء بابها، وزلزلت الأرض من تحت قدميها الصغيرتين، سألت فما سمعت إجابات مقبولة، فلا إجابات حين تغضب السماء والأرض، ودخلت في الصمت والخوف والوحدة، وما اتسع وجهها الصغير لتلك الدموع الكبيرة. عادت تسأل عن أبيها فقيل لها ذهب إلى ربه، سألت ثانية «لماذا»؟ ونزل الصمت وتبعثر الصدى. افتقدت أمها فأخبروها بأن العذراء أخذتها «إنها تحبها» فقالت: وأنا أحبها، وكانت تحبني أكثر من الناس أجمعين! سألت عن أخيها. فأنبؤوها بأنه في السجن «لقد أغضب الحكومة» وسمعت شيئاً عن البعثية والناصرية والقومية السورية. فقالت «شو يعني»؟ أريد أخي. انتظرت رحيل النهارات الزرقاء والرمادية الطويلة بصبر ما رأته جميلاً. أمسكت ببعضها لعل من تنتظره يدخل عليها. رأت أمامها الأبواب والجدران والسلالم عالية. كرهتها من دون وعي يقودها شعور صادق لازمها دئماً».

نحتاج إلى المحبة

تقوم معظم شخصيات رواية «رحل النهار مبكراً»: «بأن ما يحتاج إليه الجميع هو المحبة والرحمة ليختفي الخوف وتبتعد الوحدة وتتقدم العدالة ونهزم القوة المتسلطة بأنواعها وسط معاناة لا تنتهي أو تتوقف من السماء أو الأرض. تضيف هذه الشخصيات إن ثمة تنوعاً غير خطر ينبغي ألا نذير له ظهورنا، إنه تنوع غير خطر لا يصمد أمام الحياة الإنسانية الشاملة التي تتسع للجميع ولا حاجة في كل هذا إلى حزب أحمر أو أخضر وإلا فإن النهار سيرحل مبكراً، في الرواية اختناق وقلق لكنه يشير من دون مباشرة إلى أن النهار يمكن أن يعود ثانية بالمحبة والرحمة والعدالة».

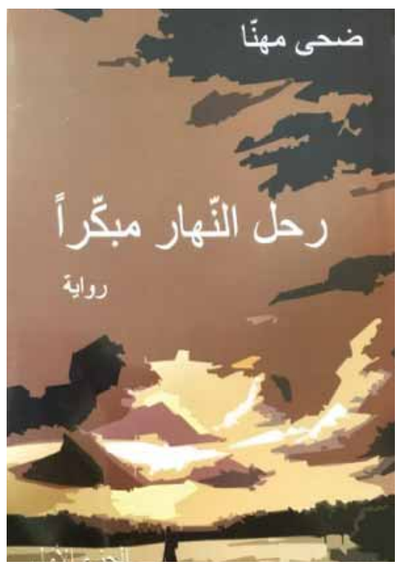

سيعود يوماً

وفي تصريح خاص لـ«الوطن» بينت الكاتبة ضحى مهنا أن: «الكتاب كان جاهزاً منذ بداية الأحداث ولكن عندما جاءت الغربان والضباع على أرض سورية توقفت حينها ورأيت أن لا قيمة للأسئلة عن معنى الحياة حين يصاب الوطن وسط كل هذه الفوضى. وعندما جرح الوطن أصابتني حالة من الحزن والإحباط وكنت كل الوقت أترقب شاشة التلفزيون وأتتبع الأخبار كافة وأشعر بأن الجو خانق وكأن الأوكسجين اختفى، ونحن بحاجة لأن نعرف أكثر، وهذا فحوى روايتي وكأنني استشرفت هذا الشيء وربما الجزء الثاني وهو قيد الكتابة يوضح كل شيء. وإن ما ينقصنا هو المعرفة فعندما يكون لدينا معرفة يكون لدينا خيار».

وأضافت مهنا: إنني «لاحظت التشققات والتصدعات في الدنيا وليس فقط في مجتمعنا ودخل بهذه الشقوق ناس ربما من الخوف أو الجهل والتعصب. وتحدثت في الرواية عن مظاهر الحياة بعباءة اجتماعية واقتصادية وتطرقت قليلاً إلى السياسة عن طريق السجن. وهي تجربة لأحد أبطال القصة تجربة مريرة جعلته بعين واحدة ولكنه كان يقول دائماً إن (عيناً واحدة تكفيني حتى أرى هذا العالم البشع). وهنا يحمل شيئاً من المرارة إلى جانب السخرية. ويمكن تكفيه أذن واحدة حتى يسمع الصخب الفارغ. وركزت على التنوع بحياتنا وهو شيء لا يجوز نكرانه على الرغم من أننا كلنا نمتلك رأساً واحداً وعينين وفماً ويجب ألا ندير ظهورنا إلى بعض بل يجب أن نحترم أنفسنا. ومثلاً في لندن نرى أن الناس يتعايشون مع الهنود والباكستانيين، كلهم يعيشون تحت سقف القانون وممنوع على أحد منهم أن يؤذي الآخر وهناك ناس متعصبون يخرجون من وقت لآخر ونسمع صوتهم النشاز. وما دمنا قلنا إن العالم أصبح قرية واحدة فيجب على الأقوام التعايش معاً ولماذا كل هذه الاصطفافات والفوارق الاجتماعية والاقتصادية والدينية».

وتستشهد مهنا بروايتها قائلة: «هذه الطفلة الصغيرة بدأت تسأل أسئلة عندما أصابتها مصائب من السماء مثل ما أصابتها مصائب من الأرض ووقفت تسأل أيهما أكثر عدالة السماء أم الأرض؟ وعاشت حياة قاسية رغم أنها من عائلة ثرية في دمشق لكن ابتليت باكراً باليتم وسجن أخيها».

وعن سبب اختيارها العنوان وضحت مهنا: «سيرحل النهار وسط هذا الجو الخانق ولكنه سيعود يوماً بالتأكيد ولو تأخر فإنه سيأتي نهاراً يعترف به كل واحد بالآخر وينظر في وجهه ولا يدير له ظهره وسيعرف أن هذه السلالم والأبواب المغلقة كلها ستنتفي بشكل رمزي».

أما عن اختيارها شخصيات الرواية فقالت مهنا: «استوحيت قصصهم من الخيال وعادة ما نجد الكاتب بكتابه. ولكن في الحقيقة هو بعيد عني وعن حياتي الشخصية تماماً، وأقول لا أحد يتلصص في الرواية على حياتي لأنني بعيدة جداً عن روايتي ولو كانت أفكاري فيها».

سيرة ذاتية

- كاتبة قصص قصيرة للكبار والفتيان.
- تكتب المقالة والسيناريو.
- عضو في اتحاد الكتاب العرب منذ عام ١٩٩٣.
- نالت جوائز عدة محلية وعربية.

الرسوم الجدارية في مرحلة ما قبل التاريخ في سورية

د. غطفان حبيب: تؤكد النقوش وجود حس جمالي... وذائقة بصرية فطرية لإنسان المرحلة

سوسن صيداوي

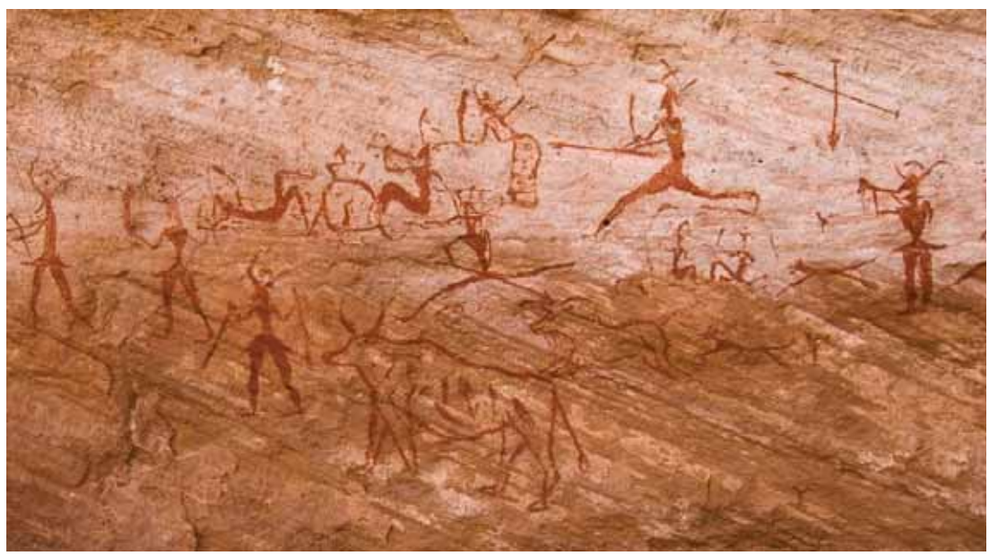

كيف عاشوا، ماذا كانوا يأكلون، أو بماذا يكتسون، كيف عمّروا حضارات، وحاربوا الغزاة، وماذا عن الفتوحات؟ حيوات عاشها الملايين من البشر، أخبرونا عن أيامهم بعاداتها وتقاليدها، وحكوا لنا قصصهم ومغامراتهم عبر نقوش ورسومات جدارية، وثّقت مشاهد لكل حضارة على مرّ الزمن، شواهد على وجودها، وشواهد على تطورها ورقيها، تثير فينا «هذه الشواهد لذّة البحث للكشف عن أسرار هذه الحضارات وخفاياها، وقد تركت لنا الحضارات القديمة أوابد دلّت على وجودها، وأدوات دلّت على تطورها وعلى درجة تقدمها» كما أشار د. غطفان حبيب في مقدمة كتابه الصادر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب، وضمن سلسلة «مسارات فنية» بعنوان: «الرسوم الجدارية في مرحلة ما قبل التاريخ في سورية- ١١٠٠٠ ق. م- ٣٠٠٠ ق. م»، وواقع ٢٢٤ صفحة، مقدما في خمسة فصول بحثاً واسعاً عن الفن القديم في سورية، مروراً بالعديد من الحضارات، متوقفاً في باقي الفصول في البحث حول الرسوم الجدارية المكتشفة ومواقعها، مقدماً دراسة تحليلية فيها مع تقنياتها، متابعا في أهميتها ودورها في الصياغة التاريخية والتطور الفني والفكري والاجتماعي.

الغاية من البحث

يؤكد الباحث في مقدمة دراسته أن أهمية الرسوم الجدارية القديمة، تأتي من كونها لم تُصنع لحاجة فيزيولوجية، وإنما صنعت لحاجة عقلية وفكرية، وبالتالي هذا الأمر هو ما يعطيها تميّزاً خاصاً يدفعنا للتفكير جدياً بدراستها لكي نعود من خلالها آلاف السنين عبر الزمن، مضيفاً د. حبيب إن الرموز والنقوش والرسوم الفنية القديمة المكتشفة في سورية التي تعود إلى فترات ما قبل التاريخ، لم تأخذ حقها في الظهور، على الرغم من أنها تشكل مادة علمية مهمة للباحثين والمهتمين، وتقدم فكرة جيدة عن الحياة في تلك الفترات التي سبقت التاريخ، كما أنها تشكل سجلات موثقة تصور كثيراً من نواحي الحياة القديمة وطريقة تفكير إنسان ما قبل التاريخ في منطقتنا، وتؤكد وجود الحس الجمالي العالي والذائقة البصرية الفطرية لديه منذ آلاف السنين لهذا السبب اخترت أن يكون هذا الكتاب حول تلك الرسوم الجدارية القديمة المكتشفة في مناطق عديدة من سورية، وحول تقنيّتها وموضوعاتها ورموزها وأهميتها والدوافع التي أدت إلى رسمها، وحول كل ما يتعلق بها من الناحية الفنية والتقنية والعلمية، وفي الحقيقة أن بعض هذه الرسوم الجدارية في سورية تحتوي على عدد من الألوان بمعنى أنها تصوير جداري وليست رسوما فقط، ولكنني أطلقت عليها اسم الرسوم الجدارية من منطلق التسمية الشائعة لجميع رسوم ما قبل التاريخ في جميع أنحاء العالم «فجميع رسوم المغائر في أوروبا والتي تعود لفترة ما قبل التاريخ تحمل مساحات لونية أقرب إلى التصوير ولكنها تسمى بمجملها رسوما جدارية وليست تصويراً جدارياً»، ويمكن أن نطلق عليها رسوما لأنها بدأت بمجملها برسوم خطية بدائية، (حتى الرسوم الملونة منها)، ولأنها لا تحمل صفات التصوير بكاملها».

> تحتوي الرسوم على الألوان وهي أقرب من التصوير الجداري

ما يقدّمه البحث

جاء هذا الكتاب لجمع وتوثيق وشرح وتصنيف الرسوم والرموز الفنية القديمة، التي وجدت في مناطق عديدة من سورية مثل «الجرف الأحمر والمربيط وجعدة المغارة وحالولة...»، والتي تنتمي لفترات ما قبل التاريخ، لكي نستطيع دراستها وتسليط الضوء عليها، ولتؤسس لدراسات لاحقة تستند إلى هذا التوثيق، وتستمد منه عناصرها الأولية ما يُكتشف لاحقاً، ولكي نساعد القارئ والمهتم بحضاراتنا القديمة في قراءة نتاجها الفني والتمتع بمستوى الجمال البصري فيها، هذا ما أشار إليه د. غطفان حبيب مضيفاً: «صحيح أن أقدم هذه الرسوم المكتشفة يعود إلى الألف العاشر قبل الميلاد، ولكنني رأيت أن أبدأ دراستي من الألف الحادي عشر قبل الميلاد، أي من تاريخ التأسيس لانطلاقة ثورة الرموز الفنية في منطقتنا والتي شكلت بالتأكيد بداية لتلك الرسوم الجدارية، ولأنه التاريخ التقريبي الذي شهد بداية الفترة الانتقالية للرموز الفنية من الرموز التي تحاكي الطبيعة «كما في رسوم الكهوف في أوروبا» إلى الرموز الهندسية التي تجرد العناصر الطبيعية إلى رموز تدل عليها، والتي كانت بداياتها في منطقتنا في موقع المربيط، ثم انتقلت منه إلى جعدة المغارة التي حملت رموزا هندسية ولكن على نحو أكثر تطورا، ثم إلى موقع حالولة الذي كان ابتدأ التمثيل الفني فيه هندسيا ثم ما لبث أن تحول إلى رموز تحمل تجريدا فنيا جميلا للشكل البشري، وفي النهاية إلى موقع بقرص الذي احتوت تمثيلاته الفنية التشكيلية على الشكل الحيواني».

تسلسل البحث

بدأ الباحث دراسته بعرض واف لسورية في فترة ما قبل التاريخ وكيف تشكلت الحضارات السورية القديمة وتعاقبت على هذه الأرض، والفترات التاريخية لهذه الحضارات، وستشمل هذه الدراسة تعريفا بأهم الفنون التي سادت في تلك الحقبة من الزمن، وأنواع هذه الفنون وكيف تطورت وارتقت وصولا إلى اختراع الكتابة وبداية التاريخ.

ثم ستتحول الدراسة إلى دراسة تخصصية تهتم فقط بالمواقع السورية القديمة التي عثر فيها على رسوم جدارية، حيث قام الباحث د. غطفان حبيب بوضع مخطط تفصيلي لكل موقع من تلك المواقع، وخرائط لهذه المواقع وصور لها ومعلومات عن كل موقع من حيث عمره ومكانه ومساحته واللوحات الجدارية التي اكتشفت فيه، بعد ذلك يقدم البحث دراسة تفصيلية لكل لوحة جدارية من الأقدم إلى الأحدث زمنيا، وهي-بحسب الباحث-الخطوة الأهم في البحث، حيث ستشمل هذه الدراسة في هذا الجانب مقاسات اللوحة وعمرها وعناصرها وألوانها وتقنية تنفيذها والرموز المؤلفة لها ووصفا عاماً للوحة ومحاولة لمعرفة سبب رسمها وكل ما يتعلق بها. كما يشمل الكتاب شرحا حول التقنية القديمة في الرسوم الجدارية بشكل عام، ثم حول التقنية التي اتبعت في رسم اللوحات الجدارية القديمة المستخرجة في سورية كل على حدة. وأيضاً تم التطرق إلى دور تلك الرسوم الجدارية القديمة في الصياغة التاريخية، ودورها في التطور الفني عبر مراحله وكيف توارثتها الأجيال وصولا إلى زمننا هذا، مع تبيان دور تلك الرسوم في التطور الفكري والحياة الاجتماعية للحضارات التي صنعتها، والتركيز على أهميتها وكيف أنها شكلت الوسيلة المهمة في نقل الفكر الحضاري وطرائق العيش وطقوس العبادة من جيل لآخر.